

الرَّسَالَة ٣٤

اشكروا

(Arabic - Give Thanks)

أحبائي: رسالة الله إلينا اليوم موضوعها: اشكروا

ومن رسالة بولس الرسول الأولى إلى مؤمنى تسالونيكي نقرأ العدد الثامن عشر من الأصحاح الخامس:

"اشكروا في كل شيء.. لأن هذه هي مشيئة الله في المسيح يسوع من جهنكم".^١

اعتدنا في بلادنا بالشرق.. إذ وجّه إلينا أحد الأشخاص التحية بالقول: كيف حالك؟. أن نجيبه بالقول: أنا بخير والحمد لله.. وإذا قدّم إلينا أحد الأصدقاء خدمة ما توجّهنا إليه بالشكر فيجبنا بقوله: الشكر لله.. أما في البلاد الغربية فنحن نستخدم أساليبهم في التخاطب ونحن نتعامل مع الغربيين.. إنهم في تحياتهم لا يكرّرون ترداد اسم الله جلّ جلاله كما اعتدنا نحن.. ففي بلادنا نحرص دائماً على تقديم الشكر والحمد لله.. ونتحاشى أن نتقبله لذواتنا. ولكن بعض الأحيان لا نعني ما نقول كما هو الحال عند الغربيين أيضاً.. إلا أن قولنا: الشكر لله والحمد لله يوقظ ذاكرتنا أن الله وحده مستحق لكل شكر وحمد.. فنحن كبشر من طبيعتنا النسيان لذا يقول داود النبي في مزموره الثالث بعد المائة: "باركي يا نفسي الرب ولا تنسى كل حسناته".^٢

إن الشكر تعبير عن إحساس ينبع من القلب.. وإذا لم يتوفر هذا الإحساس عجز اللسان عن التعبير أو كان التعبير مزيفاً.. والإحساس بواجب بالشكر لا يتم ما لم يُدرك الإنسان نعمة الله عليه.. ولكن لماذا لا يُدرك الإنسان نعمة الله؟. الإجابة: سبب من اثنين: (١) إما عن جهل وعلاجه معرفة الله المعرفة الحقيقية وبالتالي إدراك إحساناته علينا.. (٢) وإما نتيجة وقوع الإنسان تحت سلطان إبليس الذي يصيب الأذن بصمم فلا تسمع والعين بعمى فلا ترى والذهن بغيابة فلا يدرك.. كما ورد بالمثل الذي ضربه السيد المسيح عن الغني الذي أخصبت مزرعته وأخذ يحدث نفسه بالقول: "يا نفسي لك خيرات كثيرة موضوعة لسنين كثيرة". فقال له الله: "يا غبي هذه الليلة تطلب نفسك ميّك فهذه التي أعددتها لمن تكون؟". لم يعلم المسكين أنها نعم الله فلم يقدم شكراً لله على نعمه.^٣

قد نتساءل: من الواجب أن نشكر الله على نعمه ولكن لماذا يقول بولس الرسول: "اشكروا في كل شيء؟". وفي نفس الرسالة الأصحاح الأول لماذا يقول: "نشكر الله كل حين؟". وبالأصحاح الثاني لماذا يقول: "نشكر الله بلا انقطاع؟". كيف يحدث هذا؟. كيف نشكر الله في كل شيء؟. وفي كل حين؟. وبلا انقطاع؟. كيف يتسنى هذا؟. فالمعقول أن نشكر عندما نشعرُ بداخلنا أن خيراً وقع.. أو أن خيراً ينتظرُ وقوعه.. فما القول إذا حدت رأينا أمام أعيننا الشرّ واقع أو أنه قادم؟! هل نشكر الله على الشر الذي رأيناه أمام أعيننا؟.^٤

الإجابة عن هذا الأمر نجدّها برسالة بولس الرسول إلى مؤمنى رومية الأصحاح الثامن إذ يقول: "ونحن نعلم أن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله". وهنا يمكننا أن نضمّ الآيتين معاً: "اشكروا في كل شيء لأن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله". أدرك هذا المعنى السامي يوسف الصديق فقال لإخوته: "لا تتأسفوا ولا تغتاظوا لأنكم بعثتموني إلى هنا.. ليس أنتم أرسلتموني إلى هنا بل الله". "أنتم قصدتم لي شراً أما الله فقصد به خيراً". إن بولس الرسول من قلب السجن ويدها ورجلاه مكبلتان بالسلاسل ردّد كلمات الشكر لله وهو يسجل رسالته الأولى إلى مؤمنى تسالونيكي التي تفيض أصحاباتها الخمسة بتعبيرات الشكر لله.^٥

^١ رسالة بولس الرسول الأولى إلى مؤمنى تسالونيكي ٥: ١٨ ، استمع إلى الإنجيل

^٢ سفر المزامير ١٠٣: ١ - ٥

^٣ إنجيل لوقا ١٢: ١٣ - ٢١

^٤ رسالة بولس الرسول الأولى إلى مؤمنى تسالونيكي ١: ٢ & ٢: ١٣ & ٥: ١٨

^٥ رسالة بولس الرسول إلى رومية ٨: ٢٨ ، سفر التكوين ٤٥: ٤ - ١٤ & ٥٠: ٢٠

أحبائي: هيا بنا "نشكرُ الله في كلِّ شيء. وفي كلِّ حين. وبلا انقطاع. لأنَّ كلَّ الأشياءِ تعملُ معاً للخير للذين يُحبُّون الله". .. أوليس هذا واجبنا نحو ذلك الذي أحبنا إلى المنتهى؟.

إنَّ خيرَ مثلٍ لنقتديَ به لنقديم الشكر هو شخصُ ربِّنا يسوعَ المسيح.. فبإنجيل يوحنا الأصحاح الحادي عشر يسجِّلُ الوحي أنَّ الربَّ يسوع أمامَ قبر لعازر قبل أن يتقوه بتلك الكلمات: "لعازر هلمَّ خارجاً". ويخرج الميت من قبره.. "رفع يسوع عينيه إلى فوق وقال: أيها الأبُّ أشكركُ". .. ألا يجدرُ بنا أن نتذكَّرَ إحساناتِ الله حين نتواجدُ في محَضْره ونرفعُ قلوبنا في الصلاة ونستهلها بشكر قلوبنا وحمْدِ نفوسنا على ما أحسنَ الله به علينا؟^١

إنَّ الكتاب المقدس حافلٌ بصلوات الشكر العديدة.. ومنها صلاة يعقوب بسفر التكوين الأصحاح الثاني والثلاثين فبكلماتٍ عميقة المعنى رائعة البيان قدَّم يعقوب شكراً وحمداً لله إذ قال: "يا إلهَ أبي إبراهيم وإلهَ أبي إسحق الربِّ الذي قال لي ارجعْ إلى أرضِكَ وعشيرتِكَ فأحسنُ إليك.. صَغِيرٌ أنا عن جَمِيعِ الطافِكَ وجميعِ الأمانةِ التي صنَعْتَ إلى عبدِكَ". منذ عدَّة سنوات كنتُ على شاطئِ البحر بالإسكندريةَ مع أسرتي وإذا بأمِّ تصرخ بأعلى صوتها لأنَّ ابنها كان يصارعُ الموت.. إذ أنَّ الأمواج كانت تلعو به فيظهر ثمَّ تهبط به فيختفي.. وفي لمح البصر رأيتُ رجلاً إنفاذاً يُسرِّعُ إليه.. وبعدَ لحظاتٍ كان الولدُ بين يديه حياً فقدَّمه إلى أمِّه.. تأملتُ الأمَّ وهي تعبرُ عن شكرها لرجل الإنقاذ.. كان شكرها من عمق أعماق قلبها حاراً معبراً.. على أعظم عمل قام به إذ أنقذ حياة ابنها.^٢

أحبائي: هناك مَنْ تنازلَ تاركاً السماءَ بأمجادها وجاء إلى الأرض ليحملَ قصاصَ خطايانا لينقذنا من الهلاك الأبدى وليهبَّ لنا الحياة الأبدية.. فأى شكر يجب علينا أن نقدم لشخصه العجيب؟.. وبأى لسان نعبرُ عن هذا الشكر لفادينا ومخلصنا الربَّ يسوع؟.. أفلا يجدرُ بنا أن نشكِّره كلَّ حين.. وبلا انقطاع.. على هبة الحياة الأبدية!.. هذه الهبة التي ينالها الإنسان بالإيمان.. "لأنَّه هكذا أحبَّ الله العالمَ حتى بذلَ ابنه الوحيد لكي لا يهلك كلُّ مَنْ يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية". .. هنيئاً لنا نحن البشر.. وشكراً لله على عطيته التي لا يُعبرُ عنها.^٣

يكتبُ يوحنا الرائي أنه رأى أجنادَ السماءَ يقدِّمون مجداً وكرامةً وشكراً للجالس على العرش الحي إلى أبد الأبدين.. ورأى الملائكة يجرُّون أمامَ العرش على وجوههم ويسجدون قائلين: آمين البركة والمجد والحكمة والشكر والكرامة والقدرة والقوة لإلهنا إلى أبد الأبدين آمين.. وما أتصورُهُ أننا حين نصلُ إلى السماء سيُسعدنا أن نشترك مع سائر الأجناد السماوية في التمجيد والتسبيح لجلاله.. وتقديم الشكر والحمد إلى أبد الأبدين.. لأننا حين نتطلع إلى الأجداد التي لا نستحقها ولكن صارت لنا في شخص المسيح.. لن نتوقف ألسنتنا عن إصعاد تسابيح الشكر والحمد.. فليتنا نبدأ من الآن وعلى الدوام.. لنشكر ونجد اسم الهنا لأنَّه كما في السماء يجبُ كذلك أن يكون على الأرض.. يجبُ على أولاد الله المفديين تقديم الشكر والحمد لإلهنا على الدوام. وفي كلِّ حين. وبلا انقطاع.^٤

عزيزي القارئ: إن كنتَ قد نلتَ خلاصاً وفداءً وبنويَّة في المسيح يسوع.. فلنقدِّم شكراً لمن أحسنَ إليك.. وإن لم تكن حظيتَ حتى الآن بذلك الامتياز فالأمرُ ميسورٌ لك.. لأنَّه بالتوبة والإيمان بالمسيح الفادي ستصبح خليفة جديدة وسيقودك الروح القدس ويُعلِّمك ويُرشِّدك الطريقَ التي تسلكها.. ستجده رفيقاً لك ويحفظك طول الطريق.. سيمتلئ قلبك بسلام الله وتضمن الحياة الأبدية في السماء مع القديسين الأبرار والملائكة الأطهار.

ليتك أخي تشترك معي في تلك الصلاة: أبانا السماوي.. اقبلني تائباً راجعاً إليك.. اغفر لي ذنبي إلهي وطهرني بالدم الثمين.. دم الفادي الذي أحببني وأسلم نفسه لأجلي.. أسألك ليس لبر صنعته أنا بل إيماناً بما صنعته لتتقذني من الهلاك ولتهبني حياة أبدية.. لستُ أعرفُ كيف أشكركُ إحسانك إلى ربِّي.. فأنا إن قضيتُ العمرَ شاكرًا لك إحسانك فلستُ قادراً أن أوفى.. أتى إليك معترفاً بعجزى راجعاً عوناً وقوةً لأحيا حسب مشيئتكَ عاملاً بوصاياك.. أرفع صلاتي في اسم يسوع البار.. مُستنداً على وعدك الصادق يا مَنْ قلت: مَنْ يُقبلُ إليَّ لا أخرجُهُ خارجاً.

أخي القارئ العزيز.. إن أردتَ سماع تلك الرسالة أو غيرها ستجدُ ذلك في:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

^١ إنجيل يوحنا ١١ : ٤١

^٢ سفر التكوين ٣٢ : ٩ - ١٢

^٣ إنجيل يوحنا ٣ : ١٦

^٤ رسالة بولس الرسول الثانية إلى مؤمنى كورنثوس ٩ : ١٥

، إنجيل متى ٦ : ١٠ ، سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي ٧ : ١٢